سلسلة تصحيح المفاهيم

تسليط الأضواء
على ما وقع في الجهاد من أخطاء

تأليف وإعداد
أسامة إبراهيم حافظ عاصم عبد الماجد محمد

وأقره وراجعه
كرم محمد زهدي علي محمد علي الشريف
ناجح إبراهيم عبد الله محمد عصام الدين دربالة
فؤاد محمود الدواليبي حمدي عبد الرحمن عبد العظيم

مكتبة العبيكان

obeikandi.com

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ١٥٠٢٠ / ٢٠٠٤

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر
مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.
ص.ب : ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس : ٤٦٥٠١٢٩

القاهرة ـ ٢١ ش محمد النادى ـ مكرم عبيد ـ مدينة نصر
تليفون ٢٧١٨١٣٣

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأشهد ألا اله إلا اللَّه وأن محمدا عبده ونبيه ورسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وأزال اللَّه به الغمة فجزاه اللَّه خير ما جزى به نبيا عن أمته ورسولاً عن قومه .. وبعد

فهداية الخلق إلى الحق هى الغاية الأسمى للدعاة إلى اللَّه وهى أعظم غاية ، فالدعاة مهمتهم تحبيب الناس فى ربهم وخالقهم وسوقهم إلى صراط اللَّه المستقيم بأسهل وسيلة وأيسر سبيل .

أما الحسبة والجهاد فهما وسيلتان لتعبيد الناس لربهم ، ولذا فإن هداية الخلائق مقدمة على الجهاد إذ أن الغاية مقدمة على الوسيلة ؛ فإذا تعارضت الغاية مع الوسيلة قدمت الغاية ، فالغايات والنظر إليها والعناية بها ورعايتها هى من فقه العلماء وبصيرة الأئمة فى الدين وإنما شرع الجهاد فى سبيل اللَّه ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] فهذا هو الهدف الأسمى للجهاد ، فإذا أصبح الجهاد نفسه محدثاً للفتنة فى الدين ومانعا لتعبيد الناس لربهم وصَداً للناس عن دعوة الحق وتخويفا

للشباب من ثمرة دعوة نقية لم يحقق الجهاد بذلك مقصوده الأسمى ، وبذلك تكون هداية الخلائق وتعبيد الناس لربهم هى الأصل والجهاد فرع عليها ، فإذا تضاد الأصل مع الفرع قدمنا الأصل على الفرع ، ولا بد أن يعلم الجميع أن هداية الخلائق هى مصلحة فى ذاتها ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور هو هدف فى حد ذاته ، وإخراج الناس من المعاصى إلى الطاعات ومن النار إلى الجنة هو غاية فى حد ذاتها ، ولذلك قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لقريش فى مكة : « خلوا بينى وبين سائر الناس » [(١)] .

وكأنه يريد أن يطلب من قريش شيئاً واحدا وهو أن يخلوا بينه وبين دعوة الناس لأن هدايتهم أهم من كل شىء ، ألا ترى أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم دعا الغلام اليهودى وهو على فراش الموت ، [(٢)] فماذا كان الإسلام وجماعته ستستفيد من إسلامه وهو سيموت بعد إسلامه بلحظات ؟

---

(١) جزء من حديث طويل رواه أحمد فى المسند [٤/٣٢٣] وحسنه الأرناؤوط .

(٢) روى البخارى [١٢٩٠] عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه قال : كان غلام يهودى يخدم النبى صلى اللَّه عليه وسلم فمرض ، فأتاه =

إنها الحكمة الهامة من حياة الدعاة جميعا وهى : أن إخراج الناس من النار إلى الجنة وهدايتهم هو هدف عظيم فى حد ذاته حتى وإن لم يعط الإسلام فى الدنيا شيئا .

فماذا كانت جماعة المسلمين وقتها ستستفيد من أبى طالب الذى سيموت بعد لحظات من إسلامه ، إن إسلام المرء وإيمانه وهدايته هى أعظم غاية يسعى إليها الدعاة إلى اللَّه وهذا ما فعله رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عندما دعا عمه أبا طالب للإسلام وهو على فراش الموت [1] إنه المعنى العميق الذى يجب علينا أن نتفهمه جميعاً ألا وهو أن هداية الخلائق هى الأصل والجهاد والحسبة هما فرعان عليه ، وهذا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يدعوا أبا قحافة والد أبى بكر الصديق رضى اللَّه تعالى عنه إلى

= النبى صلى اللَّه عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم صلى اللَّه عليه وسلم ، فأسلم ، فخرج النبى صلى اللَّه عليه وسلم ، وهو يقول : الحمد للَّه الذى أنقذه من النار »

(١) روى البخارى [١٢٩٤] ، ومسلم [٣٩/٢٤] عن جابر رضى اللَّه تعالى عنه .

الإسلام وهو قد جاوز الثمانين من عمره [1] ، ماذا كان سيفيد الجماعة المسلمة وهو فى هذا العمر وقد شاب منه الشعر وانحنى الظهر وضعفت منه القوة ؟ وقد ضرب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فى حديث جليل مثلاً عظيماً لمهمته فى الحياة ومهمة كل داعية : « إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيه وهو يذبهن عنها وهم يتفلتون من بين يديه » [2]

---

(١) روى أحمد فى المسند [١٦٠/٣] من حديث محمد بن سيرين قال : سئل أنس بن مالك رضى اللَّه تعالى عنه عن خضاب رسول اللَّه ﷺ

فقال : إن رسول اللَّه ﷺ لم يكن شاب إلا يسرا ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبا بالحناء والكتم . قال : وجاء أبو بكر بأبيه أبى قحافة إلى رسول اللَّه ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدى رسول اللَّه ﷺ ؛ فقال رسول اللَّه ﷺ لأبى بكر : « لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه مكرمة لأبى بكر : فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة بياضًا فقال رسول اللَّه ﷺ : غيروهما وجنبوه السواد . وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت أبى بكر عند أحمد [٣٤٩/٦] ، وآخر ضعيف عند الحاكم فى المستدرك [٣/٢٤٤] .

(٢) رواه مسلم [١٩/٢٢٨٥] عن جابر رضى اللَّه تعالى عنه .

فذب الناس عن الوقوع فى النار وهدايتهم إلى الدين وتحبيبهم فى اللَّه كل هذه هى مصالح فى حد ذاتها وهى مهام عظيمة للدعاة إلى اللَّه .

ولذلك فإن الصحابة رضوان اللَّه تعالى عليهم عندما فتحوا البلاد كانوا يفتحونها فتح هداة وليس فتح طغاة ، وفتح رحمة وليس فتح نقمة ، وكذلك كانوا يختلطون بأهل البلاد ويتزوجون منهم ويزوجونهم وييعون لهم ويشترون منهم حتى أحب أهل البلاد المفتوحة الإسلام وأقبلوا عليه ، وحدث فى أول مرة من تاريخ الفتوحات أن غَيَّر أهل البلاد المفتوحة دينهم ولغتهم واعتنقوا دين الإسلام ولغته العربية ، وشتان بين ما حدث فى فتوحات الصحابة والتابعين وبين ما قامت به الدولة العثمانية مثلاً – رغم أنها دولة مسلمة – ولكنها قدمت الجهاد على الدعوة وهداية الخلائق ، فلم تؤثر شيئا فى البلاد التى فتحتها فلم يتغير منها شىء كثير ، بل لم تتعلم البلاد المفتوحة على أيديهم لغة القرآن ولم تحمل هدايته فأسرعت بالردة عن الدين ، شتان شتان بين فتوح الصحابة للبلاد وفتوح العثمانيين لها ، فالدولة العثمانية حملت سيف الإسلام ولكنها لم تحمل هدايته ، وحملت قوة الإسلام ولكنها لم تحمل رحمته وتفهمت معنى الجهاد جزئيا ولم تتفهم معنى الدعوة الى اللَّه وهداية الخلائق بمعناه الواسع .

ومن هذا الباب أيضا : البربر ببلاد المغرب أسلموا وارتدوا عن الإسلام اثنتا عشرة مرة وذلك لأن الجيوش وقتها كانت تفتح البلاد ثم تتركها وتدعها فيرتد أهلها وهكذا حتى جاء أحد دعاة السلف العظام عبد اللّه المهدي إلى بلاد البربر فأخذ يدعوهم إلى اللّه ويحببهم فى الإسلام ويرغبهم فيه فلم يرتدوا بعد ذلك أبدا ولعلنا نلحظ غياب معنى هداية الخلائق فى فتوحات العثمانيين من قرارات السلطان سليم الأول الذى أصدر فرمانا عثمانيا يقضى بقتل أى جندى عثمانى يتزوج من مصرية وكان يمنع الحاميات العثمانية من الاختلاط بالأهالى .. يتضح ذلك من تكوين الجيش الانكشارى فهو جيش لا يعرف شيئا عن معنى الدعوة الى اللّه وهداية الخلائق ، أما جيش الصحابة فهو جيش يتكون أساسا من الدعاة والهداة .

وليعلم كل مسلم أن هداية الخلائق هى الهدف الأسمى الذي من أجله أنزل اللّه الكتب وأرسل الرسل ، فالجهاد فى سبيل اللّه له فضله العظيم الذى تواترت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والسلف الصالح ، ويكفينا قول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف]

ويكفينا من أحاديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قوله : « لغدوة فى سبيل اللَّه أو روحة خير من الدنيا وما فيها » (١) . ولذلك فقد وضع الإسلام سياجين كبيرين يعصمان أهل الإسلام من الانحراف بفريضة الجهاد عن هدفها وهو أن يكون الدين كله للَّه (٢) أو عن غايتها وهو أن يكون فى سبيل اللَّه (٣) ، ولذلك جاءت أقوال

---

(١) رواه البخارى [٢٦٣٩] ومسلم [١١٢/١٨٨٠] . عن أنس بن مالك رضى اللَّه تعالى عنه .

(٢) إشارة إلى قوله اللَّه تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

(٣) روى البخارى [٢٦٥٥] ومسلم [١٤٩/١٩٠٤] عن أبى موسى الأشعرى رضى اللَّه تعالى عنه قال : أن رجلاً أعرابياً أتى النبى صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة اللَّه هى العليا فهو فى سبيل اللَّه » .

الفقهاء لتشرح كل صغيرة وكبيرة ودقيقة وجليلة تخص هذه الفريضة .

ولذلك فإن هذه الفريضة تحتاج إلى علم شرعي دقيق وفهم سياسي عميق لا يتأتى للكثير ممن يمارسونه وذلك لأن الولوج فى الدماء شيء عظيم ، والنفس هى من الضروريات الخمس فى الإسلام [1] .

---

(١) جاء فى كتاب السلفية بين الولاة والغلاة لمؤلفه : محمد سرور نايف زين العابدين :

الجهاد في الشريعة الإسلامية ليس مقصوداً بذاته ولكنه وسيلة تفضي إلى غاية قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩] . فالغاية من الجهاد كما يقول بعض المفسرين في شرح معنى هذه الآية : أن يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان فإذا غلب على ظن أهل الحل والعقد أن المسلمين غير قادرين على تحقيق هذا الهدف لا يجوز لهم أن يقدموا على أمر يترتب عليه فساد كبير وشر عظيم . يقول العز بن عبد السلام : « التولي يوم الزحف مفسدة كبيرة لكنه واجب إذا عَلِمَ أنه يُقْتَلُ من غير نكاية في الكفار لأن التغرير في النفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين بالنكاية في المشركين =

= فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام لما في الثبوت من فوات النفوس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام وقد صار الثبوت هاهنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة » . وإن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الضروريات الخمس : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال . ومن أهم هذه الضروريات : الدين وحفظه يكون بوجوب الجهاد وبذل النفس والمال فإذا غلب على الظن أن حفظ الدين كله غير متحقق وجب تقديم مصلحة حفظ النفس عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد تأكيده على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية : « وإذا كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به ولهذا قيل : ليكن أمرك بالمعروف بمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر .

وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد بل كل ما أمر الله به فهو صلاح .. فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به » . =

= وفي موضع آخر يقرر شيخ الإسلام أن من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة ثم يضيف قائلاً : « وقد تكلمت على قتال الأئمة في غير هذا الموضع وجماع ذلك داخل في « القاعدة العامة » : فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد . فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام » .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية : « لا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب « الإمكان » .

وهى التي تلى الدين فيها ، ولذلك فإن العلم الشرعي الغزير والعلم بالواقع والفهم السياسي العميق كل هذه أدوات لا غنى عنها ويفتقر إليها البعض ممن ولج هذا الباب ، وكانت النتيجة أن هذا البعض أهلك نفسه وأضاع قومه وسفك دماءه ودماء غيره بغير مبرر أو دونما مصلحة فلم يحقق هدفاً ، ولم يَجْنِ ثمرة ، وأشمت اليهود فيه ، وخوف الناس من دعوته ، وأراق الدماء دونما غاية فلم يحقق ما يصبو إليه من رفع الظلم وانقاص عدد المعتقلين ، فلا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى [1] .

---

(١) قال العجلونى فى كشف الخفا : روى البزار والحاكم في علومه والبيهقي وابن طاهر وأبو نعيم والقضاعي والعسكري والخطابي في العزلة عن جابر مرفوعا بلفظ : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، واختلف في إرساله ووصله .

ورجح البخاري في تاريخه الإرسال وأخرجه البيهقي أيضا والعسكري عن عمرو بن العاص رفعه لكن بلفظ فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى وزاد فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا وسنده ضعيف =

= وله شاهد عند العسكري عن علي رفعه : إن دينكم دين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع وفي سنده الفرات بن السائب ضعيف وهذا كالحديث الآخر الذي أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة أن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا أغلبه .

وروى أحمد عن أنس بلفظ أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق وليس فيه الترجمة وروى الخطابي في العزلة عن ابن عائشة قال ما أمر الله عباده بما أمر إلا والشيطان فيه نزعتان فإما إلى غلو وإما إلى تقصير فبأيهما ظفر قنع وعن بعضهم كل طرفي القصد مذموم ولبعضهم :

فسامح ولا تستوف حقك كلـــه وأبق فلم يستوف قط كريم
ولا تعد في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقد أفرد السخاوي في الحديث جزءا . وقال الحافظ فى الفتح : وقد أخرج البزار من طريق محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر ولكن صوب إرساله وله شاهد في الزهد لابن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوف « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » والمنبت بنون ثم موحدة ثم مثناة ثقيلة =

وزرع مع طوائف كثيرة أحقادا وثارات تحتاج الى زمان طويل لإخماد نارها ووأد فتنتها ، والجهاد فى سبيل اللّه رغم فضيلته العظمى إلا أنه فرض من فرائض الإسلام الكثيرة وعلى كل مسلم أن يضعه فى مكانه ويعطيه حقه فقط أما أن يجعل الجهاد هو كل الدين وكأن الدين ليس فيه شيء سوى الجهاد ، أو أن الأمة إن لم تستطع الجهاد بسبب أو آخر فكأنما ضاع كل شيء وذهب كل شيء .. فمن أراد أن يصبغ الجماعة الإسلامية بصبغة واحدة وأحادية وهى الجهاد فهو لم يفهم رسالة الإسلام التى تعلى شأن الإيمان وتعلى أمر الدعوة إلى اللّه ؛ فالجماعة الإسلامية رسالتها شاملة لكل معاني الدين والإيمان وشعبه ، و الصلاة ، والدعوة ، والحسبة .. وغيرها من فرائض الدين ، وعلى كل مسلم أن يحدث فى حركة حياته الاتزان بين فرائض الإسلام كلها ، وقد حدثت أحداث كثيرة فى السنوات الماضية واستهدفت شرائح من المجتمع المصري ومنهم النصارى والشرطة ، واستهدفت كذلك السياحة

= أي الذي عطب مركوبه من شدة السير مأخوذ من البت وهو القطع أي صار منقطعا لم يصل إلى مقصوده وفقد مركوبه . الذي كان يوصله لو رفق به .

والسائحين ، وقد كانت حجة الشباب المسلم فى هذه الأحداث أنه وقع عليهم ظلم وعسف ، ويريدون إخراج المعتقلين ، ولكنهم غفلوا عن حقيقة هامة أن الظلم والعسف سيزداد وقد حدث ، وأن المعتقلين سيزدادون وقد حدث ، والدعوة سُتْمنَع وقد حدث ، وأن الأُسر ستهدم وقد حدث ، وأن المفاسد كلها ستحدث وقد حدث ، وأن المصالح لن تأتى وقد حدث ، وأن الناس ستنصرف عن الدعوة الإسلامية وقد حدث وأن اليهود سينتهزون هذه الفرصة للنيل من الفريقين وقد حاولوا ، وبالجملة فإن كل أعداء الإسلام وأهله هم المستفيدون مما يحدث ؟! أما سمعة المسلمين فقد تدهورت فى بلاد الدنيا كلها وخاصة بعد عمليات السياحة ، وتكتل العالم كله فى جبهة واحدة لمحاربة الإسلام ذاته وليس محاربة الجماعات الإسلامية ، وحوصر المسلمون حصارا شديدا فى كل دول العالم وحدث لأول مرة تكتل غربى وشرقى فى مواجهة الإسلام والمسلمين ، وأصبح الإسلام فى نظر الغرب هو العدو الأول بدلاً من الشيوعية ، وأريقت دماء المسلمين من كافة الأطراف المسلمة فى مصر وغيرها من بلاد المسلمين ، وحدثت مفاسد لا حصر لها ، لفد حقق أعداء الإسلام أعظم المكاسب على

حساب المسلمين وعلى خلفية هذه الأحداث وأعظم مكاسبهم على الإطلاق هو غياب الدعاة إلى اللّه من ساحة التأثير وانفراد التيار اللادينى بالتأثير على عقول الناس وعقيدتهم ، فزينوا الباطل حقا والحق باطلاً ، وخوفوا الناس جميعا من الإسلام مستغلين شعارات مواجهة الإرهاب لإرهاب كل من يدعو الى اللّه ، أو يصدع بالحق أو حتى بشيء يسير منه ، وبعد أن تخلصوا من الجماعات الإسلامية شنوا حربهم الإعلامية الضروس على الجمعية الشرعية وأنصار السنة وعلى وزارة الثقافة نفسها وعلى الأزهر الشريف فى نهاية المطاف ، آملين فى قرارات سيادية تحجم دور هذه المؤسسات الإسلامية ومحرضين الهيئات المحلية والدولية عليهم . وحرضوا كذلك على كل داعية له أثر كبير وجمهور غفير ، فحرضوا على الشيخ الشعراوى رحمه اللّه تارة بحجة أنه يلمز فى النصارى ، وتارة بأنه يشجع على الإرهاب وثالثه بحجة أنه يشتم اليهود فى تفسيره . والكل يذكر محاولتهم للإيقاع بجماعة التبليغ والدعوة والتحريض عليها ، وحاولوا ويحاولون التحريض على الدكتور زغلول النجار لمجرد أنه يُذَكِّر عامة الناس بالإعجاز العلمى فى القرآن ، ومعهم تهمة جاهزة لكل إنسان صالح وهى تشجيع

الإرهاب أو الدعوة إلى الإرهاب وما إلى ذلك من كلمات جوفاء .

إن القتال إذا لم يحقق مصلحة ولم يأت بثمرة ولم يكن له نتيجة سوى سفك الدماء وإراقتها فهو ممنوع شرعاً ، فإذا حدث هذا فإن هذا القتال قد يلحق بقتال الفتنة حتى و إن كان فى طرفيه طرف مُحق و طرف مخطئ . لأن إراقة الدماء لم تشرع فى الإسلام لذاتها ولكنها شرعت لتحقيق مصلحة أكبر منها أو دفع مفسدة أعظم منها . فشريعة الإسلام السمحة منزهة أن تريق دماء أبنائها خاصة والدماء عامة بغير هدف شرعي أو مصلحة شرعية يقينية غير ظنية ، بينة وغير خفية تغلب على مفسدة إراقتها . إننا عندما تأملنا تلك الأحداث التى مرت بالحركة الإسلامية عامة وبالجماعة الإسلامية خاصة بمصر وجدنا أنه يجب أن تكون لنا فى تلك الأحداث كلمة فقد افرزت هذه الأحداث قضايا عديدة تحتاج إلى بيان وتستحق منا التعليق عليها وتتطلب منا دراسة القضايا التى أثارتها والتجاوزات التى شملتها ، وأَيْقَنا أن دراسة هذه القضايا وبيان هذه التجاوزات هى ضرورة واقعية وفريضة شرعية علينا ، وإن لم تكن علينا فعلى من تكون هذه المسؤولية

الجسيمة ؟ أما كون هذه المسؤولية قد تحتمت علينا فهذا أمر قدرى ومسؤولية أدبية .. لا ينبغي الفرار منها مهما كانت التبعات . أما كونها فريضة شرعية فذلك لأن على أهل العلم و الفقه : البيان والتبيين ما أمكنهم ذلك ، ويحرم عليهم الكتمان والتزييف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فنحن نعيش بقلوبنا وجوارحنا مع قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] وأما كونها ضرورة واقعية فذلك راجع الى رغبتنا القوية فى عدم تكرار هذه الأحداث مرة أخرى وعدم تكرار مفاسدها وعدم ذوق مرارتها .

ونحن من منطلق حبنا للشباب المسلم الطاهر وحدبنا وحرصنا عليه وعلى سلامة توجهه فى الدين والدنيا ، ونحن نعلم صدق هذا الشباب فى حبه للّه وحبه للإسلام وأنه يريد إعلاء كلمة اللّه ويحرص على مرضاة ربه ، ونحن نعلم حسن نياته ، ونعلم فى الوقت نفسه أنه سيتجاوب مع هذا الكلام تجاوباً حسناً ؛ وذلك لأننا نعلم أن هذا الشباب الصالح يريد أن تقع أقواله وأفعاله على هدى كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم وبفهم علماء السلف الثقات الأثبات .

وقد شعرنا بمدى تجاوب الإخوة والأحبة والشباب الطيب معنا فى السجون وفى الخارج والداخل عندما أطلقنا مبادرة وقف العمليات القتالية فى داخل مصر وخارجها ووقف البيانات المحرضة عليها ، لقد شعرنا بمدى ثقة الأخوة فينا ، ونحن نبادلكم ثقة بثقة ، نحن نثق فى رجاحة عقولكم وحسن تفهمكم ، ونثق فى قبولكم للأمر الشرعى الصحيح مهما كان ثقيلاً على النفس ، ونعلم علم اليقين أنكم متجردون عن هوى النفس وشموخها ، وأنكم تريدون أن تسمعوا شيئاً منا عن رأينا فى بعض ما حدث من أحداث جسام مرت بمصر وبالجماعة الإسلامية فى الفترة الماضية ، ولذلك كتبنا هذه الدراسة حبا فيكم وودا لكم وتصحيحاً للأخطاء التى شابت مسيرة الحركة الإسلامية فى الفترة الماضية .

وندعو الشباب المسلم أن يتأمل فيما تحويه هذه الدراسة بالتجرد الذى عهدناه منهم وبسعة الأفق الذى عرفناه عنهم وبعد النظر الذى لمسناه فيهم عندما أطلقنا المبادرة ، ونرجو ألا يصدهم عن هذه الدراسة أن يقول قائل : لماذا غيرتم اجتهادكم وفتواكم اليوم فى بعض المسائل ؟ ولماذا فعلتم هذا من قبل ؟ .. ونقول لمثل هذا السائل : إن المعصوم الوحيد هو الرسول صلى الله عليه وسلم وأن

كل إنسان يؤخذ منه ويرد سوى المعصوم صلى اللَّه عليه وسلم ، وأن الحق أحق أن يتبع .. وأن من هم خير منا من أئمة السلف قد غيروا اجتهاداتهم وفتاواهم .. فهذا الشافعى يغير بعض اجتهاداته وفتاويه بعد قدومة إلى مصر وأصبح له مذهبان القديم والجديد .. وهذا الإمام العظيم أحمد بن حنبل له فى بعض المسائل عدة أقوال كل قول ينقله إمام من تلاميذه عنه ، ولم يغير هؤلاء الأئمة اجتهاداتهم عن هوى أو شهوة ، ولكنهم غيروها على أسس علمية سليمة وقواعد شرعية ثابتة ، فالمجتهد له أن يغير فتواه إذا رأى المصلحة فى ذلك .. وهذا دليل قوة وليس دليل ضعف .. وهذا دليل على أنه يدرس اختياراته ويمحصها وخاصة بعد أن تكون على محك التجربة والاختبار فالفتاوى التى تبنى على المصلحة أو العرف قد تتغير ولا قدسية لها ، ولكن القدسية للقرآن الكريم والسنة فقط الذين قال عنهما رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب اللَّه وسنتى » [1] ففى

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع [٣٢٣٢] وعزاه للدارقطنى ، والحاكم ، والخطيب .

خطاب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى وكان الأخير قاضيا وقتها يوصيه بمعنى عظيم من معانى الدين حينما يقول له : « ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فإن الحق قديم لا يبطله شىء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » .

وبهذه الكلمات العُمرية النورانية العظيمة نختم هذه المقدمة لندلف منها إلى محتويات هذه الدراسة .

وتنقسم هذه الدراسة إلى بابين هما :

الباب الأول : شرعية التغيير فى الاجتهادات الفقهية .

الباب الثانى : تسليط الأضواء على ما وقع فى الجهاد من أخطاء وهو ينقسم إلى عدة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول : الجهاد وسيلة وليس غاية [تصحيح مفهوم الجهاد] .

الفصل الثانى : حرمة إلقاء النفس فى التهلكة .

الفصل الثالث : حرمة قتل المدنيين من غير أهل المقاتلة والممانعة

الفصل الرابع : حرمة قتل المستأمنين وقضية السياحة .

الفصل الخامس : نظرات فى التاريخ من وقائع الخروج على الحكام .

الفصل السادس : والصلح خير .

الفصل السابع : وجوب الوفاء بالعهد .

ونسأل اللَّه العظيم أن يكتب لهذا العمل القبول الحسن عنده سبحانه وعند المسلمين ، وأن يجعله مفتاح خير ومغلاق شر ، ونرجو من اللَّه القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم سبحانه ، وأن يجعله ابتغاء مرضاته ، وألا يجعل فيه لأحد سوى اللَّه شيئاً .

وقبل أن نتركك أخى المسلم لتعيش مع صفحات هذه الدراسة نقول لك ما كان فى هذه الدراسة من خير وصواب فهو من اللَّه وحده ومن توفيقه لنا سبحانه ، وهى من محض فضل اللَّه المنان الكريم ، وما كان فيه من خطأ فهو من عند أنفسنا ومن الشيطان نعوذ باللَّه من شرهما ، ونسأل اللَّه أن يعفو عما كان فيها من تقصير أو نسيان أو ما شابه ذلك وكل ذلك لا ينفك عن ابن آدم .

إنه سبحانه غفور رحيم ودود كريم ، وصلى اللَّهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه . والحمد للَّه رب العالمين .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

○ ○ ○